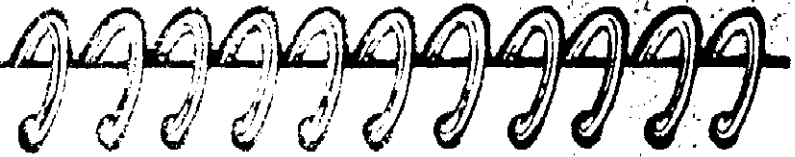




## التصير.. هل أصاب الهدف؟ (٢ - ٢)



### رسالة إلى أخصيائنا المسلمين

الإسلام والنزاهة والتفكير المستنير

د. محمد يحيى

الذكاء والبراعة والقدرة

إبراهيم بن محمد الحقبيل

تأريخ الإسلام في ضوء التاريخ الحديث

أبو إسلام أحمد عبد الله

العلماء والأدباء والباحثين

د. توفيق محمد علوان

العلماء والأدباء والباحثين

سيدي غالي لو

العلماء والأدباء والباحثين

فيصل بن علي البعداني

العلماء والأدباء والباحثين

د. عبد الرحمن الجمهور

يقول (ثوم موناهان) البلونير الأمريكي الشهير صاحب إمبراطورية دومينو بيتزا: إنه كان يقرأ كتاباً للمؤلف الشهير (لويس) عن معنى الدين وسيئات الكبرياء وحب الذات، وأدرك آنذاك أنه مهتم أكثر مما يجب بحاجاته المادية وبقشور الحياة، وأن الكبرياء والسلبية خيمتا على حياته، فكان اهتمامه الأول يدور حول ممتلكاته ويخوته وسياراته وشققه وابنتيه.. فجأة اتصل بمهندس معماري كان قد كلفه ببناء قصر له، وطلب منه التوقف عن العمل فوراً، لأنه قرر أن يصبح فقيراً، واختار خدمة الفقراء ثم أوعز إلى مساعديه ببيع يخوته وطائراته الخاصة وجزيرة يملكها. ووضع البلونير (موناهان) الأموال التي جمعها من بيع ثروته في مشاريع مختلفة تديرها الكنيسة الكاثوليكية، وسمى مؤسسته الجديدة: (آفي ماريا فاونديشن). وحتى الآن أسس أربع مدارس في (آن ريبور) (ولاية ميتشجان الأمريكية)، تشرف عليها الراهبات، وإذاعة تبث برامج دينية، وخدمة إنترنت لتسهيل التعارف بين الكاثوليكين الذكور والإناث، ومهجعاً للفتيات على مقربة من جامعة ميتشجان.. كما أسس جمعيات مهنية للرجال الأعمال الكاثوليك، وقدم الدعم المالي لمشروع إنشاء كلية في نيكارجوا..<sup>(١)</sup>

هذا البلونير -مخالفًا لكل من أمثلة كثيرة تدعم التصير والإرساليات الكنسية، وضيق المولى رجل وعلاوة إذ قال: ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فيسفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يلطون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون﴾ [الأنفال: ٧٥].

ولكن أين اغتنياء المسلمين الذين يملؤون السهل والبحر؟ أتراهم يجهلون حاجات الدعوة الإسلامية في المشرق والمغرب، أم أن سيئات التجامل وحب الذات قد غلبت عليهم؟

إننا نطالبهم بالتخلي عن أموالهم وإيقاعها كلها للدعوة الإسلامية، ولكننا نطالبهم بإخراج الحق الشرعي الذي تكلم به دين الإسلام، ونذكروهم بحقهم في الجاهل بيارك وتعالى الذي خلقنا من أجله الحياة الدنيا والآيات السالطة من عند ربك ربنا وخبرناك بالذي كنت تكتم

وما هي ذي الجهود التصيرية بين أمثالنا الذين يملؤون السهل والبحر والماضي، وترون بقيتها في هذا اللغز الذي خلقنا من أجله الحياة الدنيا والآيات السالطة من عند ربك ربنا وخبرناك بالذي كنت تكتم



## التصير.. هل أصاب الهدف؟

(٢ - ٢)

عندما جاء الإسلام فإنه لم يهدم المسيحية وبنقضها وينقض كل ما جاءت به، لكنه لم يأت ليكملها أو ليؤكد على أوضاعها العقائدية الموجودة عندئذ، بل أتى ليصحح تلك العقائد تصحيحاً جوهرياً حاسماً، وبلغت النظر إلى تحريف كتابها المقدس في عمل لم يقتنع به أصحابها إلا في العصر الحديث وفي السنوات الأخيرة على يد فصيل من دارسيهم شككوا في تلك العقائد وفي ذلك الكتاب. ومن هنا كانت علاقة الإسلام بالنصرانية علاقة مركبة لا تنكر وجود عيسى - عليه السلام - ولا عنصرية والدته ولا معجزاته أو المعجزات التي أجراها الله له، ولا تعاليم ولا قيماً، ولكنها تنكر تاليهه والغلو في تقديسه، وتنكر ما تسرب إلى ذلك الدين من عقائد وثنية مشرقة واضحة ومعها مذاهب فلسفية غامضة.

فالعلاقة المركبة هذه تحتمل اللقاء والصراع وأحدهما أو كلاهما، وتاريخ العلاقة معروف، وإن كتب في معظمه في العصر الحديث من جانب من يتعاطفون مع النصرانية أو يكرهون الإسلام.

كان الصدام أو الالتقاء الأول في الجزيرة العربية نفسها وإن لم يكن صداماً بالمعنى المعروف، ثم تطور إلى الفتوحات الإسلامية في مواجهة الدولة البيزنطية المسيحية في الشرق، وبعدها في مواجهة دويلات غربية نصرانية الطابع في الأندلس وسائر أسبانيا وجنوب فرنسا وإيطاليا. ومن الجانب الآخر أتت الحروب الصليبية التي ما زال بعض الناس وحتى ممن يحملون أسماء إسلامية يجتهدون في نفي طابعها الديني الواضح عداءً للإسلام وكراهية له. وبعد زوال الهجمة التي كادت أن تمس قلب العالم الإسلامي نفسه جاءت الفتوح الإسلامية لشرق أوروبا وجنوبها وحتى وسطها على يد الدولة العثمانية؛ ولكنها سرعان ما أخلت الطريق - منذ القرن السابع عشر الميلادي وحتى الآن - للهجمة الصليبية الكبرى والثانية التي تسمّت باسم الحركة الاستعمارية استيطانية وإمبريالية، ثم بالاستعمار الجديد، ثم بهيمنة العصر الأوروبي - الأمريكي وسيطرة الغرب والنظام العالمي الجديد (والقديم) وأخيراً العولمة.

وفي هذه الهجمة العاتية لم يكن السلاح العسكري وحده هو المستخدم، بل اكتملت بأسلحة الفكر والمذاهب والعقائد والفلسفات المختلفة، وبعضها يعلن أنه علماني لا ديني، وإن وجدت له جذور قوية في الفكر اليهودي - النصراني مع جذور في الأفكار والفلسفات الوثنية، وما زال العالم الإسلامي يجاهد ضد تلك الهجمة الكبرى التي تتراوح أجنحتها من حركات التبشير الصارخ والجارف إلى

الإسلام

والنصرانية

تضارة

النصرانية

د. محمد يحيى

## الإسلام والنصرانية.. نظرة استراتيجية

المثقل يخفي وراءه تطورات واتجاهات كبرى في علاقة وأوضاع الإسلام والنصرانية كلما بلغت إليها الاستعداد لا سيما وهي على المستوى الاستراتيجي.

إن النصرانية في مجملها من شرقية أرتودكسية وغربية كاثوليكية - بروتستانتية وعلى تنوع المذاهب والكنائس داخل هذين الجناحين الكبيرين تمر الآن بتطورات وتحركات كبرى تغيب غالباً بل تأكيداً عن أذهان من يفتنون بدعوات الحوار البراقة أو من يصبون جل اهتمامهم على الحوادث الطائفية. وسجل هذه التطورات هو نهضة كبرى أو بالأصح قوة متنامية للكنائس بأنواعها لا تصاحبها نهضة دينية بمعنى تنامي الإيمان والعقيدة والالتزام لدى شعوب تلك البلدان، وهذه مفارقة كبرى أخرى؛ فالكنائس الغربية مثلاً تكسب الاتباع المسجلين في البلاد التي تمارس التنصير فيها لكنها تخسر شعوب بلادها نفسها، وهي تزداد قوة و نفوذاً أو تأثيراً أو حضوراً في تلك البلاد المعرضة للتنصير لكنها تفقد قوتها لدى دوائر الفكر في بلادها نفسها وإن أخذ هذا الاتجاه يضعف تدريجياً مع الضعف العام الذي اعترى الفكر العلماني ولا سيما في روافده الفلسفية ومبادئه العامة. وبالمثل نجد أن الكنائس الأرثوذكسية الكبرى في روسيا وشرق أوروبا تصعد بعد سقوط الشيوعية ودولها إلى مرتبة القوة والسلطة وتحرك الأحداث والسياسات في تلك البلاد باتجاه التعصب الديني - القومي (وقد توحد الدين مع

اجتياح شامل من جانب الأفكار العلمانية وبينهما السيطرة السياسية والاقتصادية وغسيل المخ الإعلامي والظوفان اللاأخلاقي الإباحي.

وبصرف النظر عن تجربة التاريخ والعبر التي يمكن أن تستخلص منها؛ فإن الصورة الراهنة تعكس في النظرة الأولى مزيجاً غريباً من التطورات قد يتصوره بعض تطوراً حاداً وتضعيداً لذلك المحتوى من اللقاء والصراع الذي قد يكون كامناً في العلاقة الجوهرية بين الإسلام والمسيحية؛ فمن ناحية تعلو أصوات - معظمها من الجانب الكنسي النصراني وتجد استجابة من الجانب الإسلامي الرسمي الموجه علمانياً - تدعو للحوار والتعاون والتقارب في صيغ وأشكال وكيفيات غامضة مبهمة المعالم. ومن الناحية الأخرى تعلو أصوات الصراع - أيضاً في جبهة من الجانب النصراني - كما تُشهد أحداث متتالية من العنف الموسوم بالطائفي في قطاع جغرافي عريض يمتد في إندونيسيا وحتى مصر، ومن الوسط الآسيوي والشرق الأوروبي حتى الوسط والشرق والغرب الإفريقي ماراً بالشرق الأوسط. بل ومن البلد الغربي الواحد نجد الاتجاهين نفسيهما متوافقين؛ فالسلطة ومعها الكنيسة تحذر من الإرهاب والتطرف الإسلامي المزعوم وتدعو إلى مصاربتة، والكنيسة ومعها السلطة ترفع لواء الحوار والتقارب والتعاون. لكن هذا المزيج السطحي من الكلام الإعلامي المعسول والاشتباك الطائفي أو الديني الدامي

### التنصير في باكستان

سنة ١٩٩٢م كانت خصبة جداً للمتصرين في كراتشي؛ فقد تضاعف عدد المتصرين خلال هذه السنة؛ ففي شهر ديسمبر ١٩٩٢م وحده اعتنق أكثر من ٥٠ مسلماً النصرانية في مدينة كراتشي. بينما عند المتصرين في المدينة خلال سنة ١٩٩٢م نحو ٦٠٠ شخص، ومن أسباب هذه الزيادة أن الجهود التبشيرية بدأت تؤدي الآن ثمارها بعد جهد طويل. إلا أن غالبية المتصرين كانوا من الشيعة والإسماعيلية، ولكن هناك نسبة لا بأس بها من أهل السنة الذين تنصروا لأسباب مختلفة.

يقول أحد الأساقفة: حينما أذهب إلى باكستان لادعو إلى المسيحية في أرجائها بكل حرية لا يصيبني أذى من الحكومة أو الشعب.

[عن مجلة الإصلاح، العدد: ٣٧٣] - بالبيال -

بالقوى والقوة السياسية والإعلامية بل والاقتصادية داخل بلادها وخارجها. وفي إطار هذا الوضع المعكوس أو المتناقض تجري عملية التنصير الكبرى. بل إننا نستطيع أن نفهم عملية التنصير الكبرى التي تقوم بها الكنائس القبرية بالأساس (وبقائليها عند الجانب الأثونوكسي النصراني للشرق) عملية الحرب المعلنة ضد الإسلام والمسلمين بالسلاح) في تلك الأقطار بالتحديد فهذه العملية التوجية تشكل مترادف إلى المسلمين هي تعبير وتعاكس عن القوة التزايدية للكنائس ومعها تزايد العدوانية والشراسة والريغيات التوسعية وهي كذلك محاولة واسعة للتعمير والتغطية في وجه الضعف والخواء العفوي اللطفي. وهي بالطبع كذلك طليعة وقناة حركة التوسع والهيمنة الغربية الأوروبية الجامعة في ظل النظم العالمي الجديد والعولمة بعد أن انحلت هذه الحركة أو تلك النظم طابع الهوية المسيحية - العنصرية عقولنا وشعراؤها في ظل عودة جولة إلى الأصول والجزور الفكرية وأنها إضيق الفكر العلماني واقوله في يتابعه الفلسفية. وإن لم يكن ذلك في مظهره وتجلياته الثقافية المختلفة.

وحركة التنصير الكبرى في هذا التصور أو لتسميها حركة التوسع العنصري والهجومي الذي يتخذ شكل التيشير عند بعض منهم. وشكل الصدام والعدوان العسكري عند بعض آخر. وما بينهما من أشكال الغزو والتغلغل والتشكيل الثقافي والإعلامي تعد المظهر الرئيس إن لم يكن الوحيد لتوجه المسيحية نحو الإسلام في هذه الفترة وفي المستقبل المنظور. وهي توجه استراتيجي كما يعلنون بصراحة وهي كذلك حتى ولو لم يعلنوا لأنها - كما قلنا - تصورنا - تعبير وتعاكس بين توجهات وتطورات علمية في قلب النصرانية العلمية فوق أنها ترجمة دقيقة لاحتياج مجتمعنا إلى عوية وقومية وروية جديدة تعوض إحتياج العلمانية بمعناها. وشوق أنها صدى أو تعبير عن موقف العلماء والرفق من الصراع مع الإسلام الذي تميزته النصرانية تاريخياً.

وفي إطار هذا التوجه الاستراتيجي أو الهيكلي - إن

القومية في تلك البلاد في هدم واضح وصارخ لاهم مبادئ الفكر العلماني ولكن تلك قصة أخرى) ضد الإسلام والمسلمين من مواطنهم في وسط آسيا وشرق وجنوب أوروبا، وليست أحداث اليوستة وكوسوفا وبلغاريا واليونان والقوقاز والأبخاز وأذربيجان والشيشان ببعيدة، وهي موصولة بالقمع العلماني للممارس ضد الإسلام بجوارها في تركيا وحتى تركمانستان وغرب الصين مروراً بالطاجيكستان والأوزبكستان. ومعها تنهض الكنائس الأثونوكسية في مصر وإثيوبيا وإرتيريا، وتناهض الحكومات، وتفتعل الصدامات، وتصل إلى مستوى من القوة والنفوذ لم يعهد من قبل. ولكن تبقى تلك القوة غير مصحوبة بنهضة روحية إيمانية مماثلة على المستوى العفوي، بل تشعها روح من التعصب الديني قومي وسياسي الطابع أكثر من كونه وليد الإيمان الديني الروحي.

ويبدو هذا التطور الاستراتيجي معكوساً على الجانب الإسلامي؛ حيث الصحوة الإيمانية الإسلامية العارمة في وجه عقود من الكبت والقمع العلماني والتعريبي لا تصل أو لا يسمح لها أن تصل إلى مستوى الفعل الاجتماعي السياسي، ولا نقول النفوذ والتأثير على توجه المجتمعات والدول. والحركات الإسلامية وهي لا ترقى في تأطيرها وقواعدها المادية والبشرية إلى مستوى الكنائس بأي حال - تتعرض للضرب والقمع والاضطهاد، بينما تلاحق مصادر الصحوة الفكرية وشخصياتها ونشاطاتها في إطار مجموعة السياسات التي أصبحت تعرف باسم استراتيجية تجفيف منابع.

وهذا الانعكاس في التطور العام لدى كل من المسيحية والإسلام يولد وضعاً غريباً؛ فالإسلام القوي الناهض بإيمانه وروحه والتزام جماهيره يبدو ضعيفاً إزاء تحم نخب وأقليات علمانية سياسية وفكرية في مقاليد الأمور في معظم أو أهم بلاد الإسلام؛ بينما المسيحية باجنتها وهي ضعيفة في جانب الالتزام الجماهيري والإيمان الشعبي في بلادها تبدو قوية للغاية، بل وجارفة من ناحية وصولها والتصاقها

## الإسلام والنصرانية.. نظرة استراتيجية

الغربيين بقر خدماتهم بتطويع الإسلام وتدجينه ثم ضربه ليتسع المجال أمام الزحف الغربي. وهكذا فإن الظواهر التي تطفئ الآن على سطح العلاقة العامة بين الإسلام والنصرانية والتي ينلن أنها عبثة أو شاذة (في حالة الاشتباكات الطائفة الدامية بلخل بلاد المسلمين أو على خطوط التماس) أو ينلن أنها تعبير عن عصر جديد من السلام الأبدي والتعاون والتقارب الأزلي (كما في حالة دعوات الدوار) هي في جوهرها وحقيقتها مجرد تعبير وترجمة لتوجه استراتيجي عام أصبح مسيطراً في هذه الفترة على المسيحية عموماً بشكل أصيل، ويقابله كما قلنا توجه مضاد أو انعكاس في الإسلام نحو الانكماش والتراجع وللواقع الدفاعية، وعدم نشر الدعوة تحت وطأة لهجمات والدعاوى العلمانية المختلفة، ويتمعه مسلمون يتسبب بعضهم المؤسسات الإسلامية (للأسف) تدخل في عملية الحوار مع النصرانية الغربية بالذات التي تستخدم الحوار ستاراً تمهيداً لخرقة التوسع التنصيري؛ فهل لهذا التعقد المتشابك والتوجهات الاستراتيجية المتضاربة والمختلفة جذرياً من يفهمه ويفكر ويعمل على ضبطه لصالح الإسلام؟ هذا هو السؤال الذي يحكم المرحلة، وهو سؤال أبعث بعض الناس على الجانب الإسلامي نفسه من الإجابة عليه. يوقوعهم في دائرة تكتيكات الحوار والتراجع التي فرضها الغرب أو النصرانية على الإسلام.

جاز استخدام تلك المصطلح الشائع من لغة الاقتصاد - للنصرانية يتبعي الفكر لسلكي الحوار التزعم والاشتبكات الحادة - وهما اللامحان الأظهر حقيقة الآن على سطح العلاقة - باعتبارهما مترجحين في تلك التوجه وتبعين منه: فالاشتبكات التكررة هنا وهناك تعبير عن حدة العداء وتحرك مواقع الكراهة واستملاق للقرى القبطي في حالات كما حدث في تيمور الشرقية مثلاً مؤخراً. وهذه الاشتباكات هي مظاهر خارجية ساذجة وقد تكون منقطة للحركة التوسعية النصرانية التي ترمز لها علامة باسم التنصير. أما دعوات الحوار التكررة والتي تقترض بالقوة على بعض المؤسسات الإسلامية والشخصيات ذات الطابع الرسمي والواقعة تحت سيطرة التخب العلمانية في بلادها فهي مقبومة على قسلس آتيا خدام استراتيجي كما يقال في لغة العسكرية، أو استكشاف لأبعاد واتساق ونوايا وحجم ونوع «العدو» الإسلامي، أو محاولة للفت الانتظار بعيداً عن التطورات الحقيقية والنوايا الضمرة أو شل لأيدي المسلمين عن التحرك القبطي بالاتجاه مواجهة الحركة التنصيرية والهجمة الغربية العالمة وشغلهم بأمور ثقفة وغامضة المعنى، وبالطبع فإن لعبة شعارات الحوار والتقريب وما أشبهها تروج لها التخب العلمانية صلحية التوفيق لأنها في نهاية المطاف عميلة للغرب أو متوائمة معه، وبهمها أن تقدم الإسلام على هيئة «قرين» لهذه العلاقة حتى تزداد حظوتها لدى الأسياد

■ قد ازداد عدد سكان بنجلاديش (١٢٠) مليون من (٧٠) مليون منذ استقلال البلاد، بينما ازداد عدد المسيحيين ليصل إلى ٣ ملايين من أصل (٢٥٠) ألف مسيحي في الوقت نفسه. هذا يعني أنه ازداد عدد السكان أقل من ضعفين، بينما ازداد عدد المسيحيين أكثر من عشرة أضعاف في ثلاثين عاماً مضت في بنجلاديش.

[مجلة مبيعة الشهرية السنة: ٣٦، العدد: ٢، محرم، وصفر ١٤٢١هـ. المواقف مايو ٢٠٠٠م]

■ تكررت نشرة صوت الشهداء التنصيرية The voice of the martyrs انهم يسعون لجمع الاموال لتوزيع كتاب (معلنة قنصل) باللغة العربية على النصاري الذين يعانون تحت النظم الإسلامية، الهدف من توزيع الكتاب هو رفع وتقوية معنويات النصاري المتطهرين في المنطقة. [مجلة الصراط المستقيم، العدد ٦٦]. - باليار -